الخراجيات في الأندلس دراسة في أحوالهنّ العامة (٣١٦- ٥٦٨هـ/ ٩٢٨- ١٢٦٩ م)

الاستاذ المساعد الدكتور قاسم عبد سعدون الحسيني
قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة ميسان

الملخص:-

أنَّ التمسك بالأخلاق ضرورة لا بد منها في بناء المجتمع ، بوصفها تحقق الديمومة والاستمرارية للحياة، فخروج المجتمع عن ضوابطهِ يُعد بداية للفساد والسقوط والفوضى الاجتماعية، وعلى الرغم من عمليات البناء الاجتماعي الكبير ، إلا أنّ بعض الأندلسيين انحرفوا وابتعدوا عن الضوابط الأخلاقية ، الأمر الذي أحدث انفصال بين السنن الاجتماعية والأخلاقية ، فانتشرت مظاهر سيئة في المجتمع الأندلسي وكانت مناخاً ملائماً لبروز بعض الرذائل والانحرافات الخلقية التي أثرت على صيرورة هذا المجتمع ، وقد شددَ الفقهاء و المحتسبين على ضرورة عفة المرأة والمحافظة عليها ، ولعلَّ هذا الاهتمام نابع من أهمية هذا المخلوق وقدسية جسد المرأة ودورها في صلاح المجتمع ، رافقَ ذلك ظهور دور الخراج وانتشارها بشكل كبير حيث كانت مكاناً آمناً لممارسة الرذيلة ، وبطبيعة الحال أخذت مظاهر الانحلال الأنثوي تتصاعد وتبرز بشكلٍ واضح في الأندلس بلغت التجاوز في العلاقة بين الرجل والمرأة حداً ينم عن ضعف الأخلاق وانحلالها الكبير ، فوقعَ بعضهنَّ بالمحظور وخالفنَّ الشرع فانتشر البغاء والزنا والإجهاض من قبل بعض النساء اللاتي عُرفنَّ بالخراجيات .

كلمات مفتاحية: الاندلس،الخراجيات،الانحراف الخلقي،المرأة في الاندلس.
تاريخ الاستلام: ٢٠٢٢/٠٣/٠١ **تاريخ القبول:** ٢٠٢٢/٠٤/٢٠

Cysts in Andalusia, a Study of their General Conditions

(316-668 / 928-1269)

Asst.Prof. Dr. Kassem Abd Saadoun ALhuseany
Department of History/ College of Education/ University of Maysan

Abstract:

Adherence to morals is an indispensable necessity in building society, as it achieves permanence and continuity of life. The society's departure from its controls is the beginning of corruption, fall and social chaos, and despite the great social construction processes, some Andalusians deviated and moved away from moral controls, which caused a separation Between social and moral norms, bad manifestations spread in the Andalusian society and it was a favorable climate for the emergence of some vices and moral deviations that affected the development of this society. In the goodness of society, this was accompanied by the emergence of the role of the abscess and its widespread spread, as it was a safe place to practice immorality, and of course the manifestations of female degeneration began to escalate and emerge clearly in Andalusia. Sharia then spread prostitution, adultery and abortion by some women who were known as kharajiyyat.

Keywords: : Andalusia, cysts , moral deviation, women in Andalusia, prostitution.
Received: 01/03/2022 **Accepted: 20/034/2022**

المقدمة:-

قبل الخوض في سرد وقائع الموضوع علينا أنّ نتحفظ ولا نطلق العموميات ، وأنّ لا ننساق وراء تصورات ، وافتراضات لملئ ثغرات فيما يخص تاريخ المرأة الأندلسية فالشواهد التي سنذكرها تبقى تدور في الإطار الفردي ومن الخطأ أنّ نُعممها على المرأة الأندلسية ، إذ أنَّ المتصفح لتاريخ الأندلس يجد أنَّ هناك نساء طاهرات عفيفات كانَّ لهُنَّ دور كبير في مفاصل الحياة كافة .

ركز ابن خلدون[١] على ضرورة التمسك بالأخلاق في مسألة بناء المجتمع ، بوصفها ركيزة أساسية لديمومة الحياة واستمرارها ، فإذا خرج المجتمع عن ضوابطهِ فتلك بداية الفساد والسقوط والفوضى الاجتماعية. لذا فلا غرابة أنَّ الأندلسيين رغم عمليات البناء الاجتماعي الكبير إلا أنهم انحرفوا وابتعدوا عن الضوابط الأخلاقية ، الأمر الذي أحدث انفصال بين السنن الاجتماعية والأخلاقية ، فانتشرت مظاهر سيئة في المجتمع الأندلسي وكانت مناخاً ملائماً لبروز بعض الانحرافات الخلقية التي أثرت على صيرورة هذا المجتمع ، أقام المسلمون في الأندلس حضارة متطورة يسودها الرقي والتطور فاتخذتها الشعوب المجاورة أنموذجاً لها ، ومنبعاً تنهل منه ما يحقق نهضتها في مجالات الحياة كافة ، فالحضارة ليست تقدماً مادياً فقط ، بل هي جملة من الأخلاق والسلوكيات المختلفة لا بل هي نمط حياة يغمر كيان المجتمع ، فالأندلسيين مثلهم مثل كل المجتمعات لهم عاداتهم وتقاليدهم وتصرفاتهم الجيدة وغير الجيدة ، لذلك لم يكن المجتمع الأندلسي بعيداً عن مظاهر الانحلال التي عصفت حياة الفرد وما ظاهرة سفور المرأة واختلاطها بالرجل وانتشار البغاء والزنا وظهور الخراجيات ظواهر مستهجنة بل هي عادات عرفها المجتمع الأندلسي ، رغمَ أنَّ الإسلام ضبط حدود العلاقات الإنسانية وبينَّ الحلال فيها من الحرام عن طريق المنظومة الفقهية التي اعتبرت هذه الأمور سلوك انحرافي يتنافى مع القيم الدينية والاجتماعية التي تشددت بشأنها هذهِ المنظومة في الأندلس وعملت على تشخيصها وتقويمها وإصلاحها[٢] ، إلا أنَّ بعض النساء وقعنَّ في المحظور وبالغنَّ في العلاقة مع الرجل وخالفنَّ الشرع ومارسنَّ الرذيلة فانتشر البغاء والزنا والإجهاض من قبل الخراجيات . ولضرورة تقتضيها طبيعة الموضوع لجأنا لاستخدام المنهج التاريخي والتحليلي لغرض الوصول إلى حقائقٍ تاريخية يمكن الاعتماد عليها .

المبحث الأول

الجسد الأنثوي في المنظور الفقهي

اهتمت المنظومة الفقهية اهتماماً كبيراً في المرأة وجسدها ، ولعلَّ هذا الاهتمام نابع من أهمية هذا المخلوق وقدسية جسد المرأة الذي أُعتبر عورةٌ وجب سترهُ انطلاقاً من الوعي بأهميتها ودورها في صلاح المجتمع والحفاظ عليه ، وعلى الرغم من ذلك أخذت مظاهر الانحلال الأنثوي تتصاعد وتبرز بشكل واضح في المجتمع

الأندلسي ، مخترقة بذلك بعض التعاليم الدينية التي أوصى بها الدين الإسلامي الأمر الذي أدى إلى أنْ أصبح فيها المحظور مباحاً .

كان للخطاب الفقهي الأندلسي دور كبير في نبذ ظواهر الانحلال الأخلاقي ومحاربته والعمل على تجنب السلوكيات المنحرفة ، إذ ليس من قبيل الصدفة أنَّ يعمل الفقهاء ، للإشارة لنبذ بعض الحالات وتشددهم في مسألة سفور المرأة ، والمحافظة على جسدها كمحاولة منهم لمنع الوقوع في المنكرات والمحظورات الشرعية التي كانت تُرتكب وقتئذ كخروجها متبرجة بأنواع من الزينة واستظهار ما يستدعي الفتنة واختيار ما يناسب قوامها وأنوثتها من الملابس والحلي والمجوهرات كونها تلبس ملابس خاصة للصباح وأخرى للمساء ، وتستعمل الروائح والعطور الفاخرة فتكثر مُعاكسة الرجال لها[٣] ،وفي ذات السياق حذر الفقهاء من عدم التباعد بين أنفاس المرأة في الصلاة ، خوفاً من إثارة الرجل، ومنعوا الخلوة والاختلاط بالرجال ، فضلاً عن مراقبة المواضع الخالية في الأسواق لكي لا يختلي الفُساق من النساء والرجال[٤]،كل ذلك لأجل المحافظة على جسدها ، وصيانتها من ارتكاب الزنا والمحرمات[٥] .

شدد الفقهاء ورجال الدين في الأندلس على أنْ لا تخرج المرأة وحدها ، وأنَّ خرجت مضطرة فيجب عليها الالتزام بالملبس والتصرف الحسن والابتعاد عن ما يثير الشهة ، وأنَّ لا تختلط بالرجال وأنَّ تعاملت معهم فليكن تعاملها مع الثقات منهم أي المعروفين بالخير والصلاح ، لا سيما في مسألة البيع والشراء إذ شدد أبن عبدون[٦] على أنْ لا يُخالط النساء في البيع والشراء إلا من أشتهر بالثقةِ والخيرُ والأمانة ، مع التأكيد على قطع الطرازات عن السوق واجبٌ ... .

وفي السياق ذاته شدد الفقهاء على عدم خروج المرأة وحدها إلى المتنزهات والحمامات والمقابر والأسواق ، واعتبرت المرأة السافرة التي تكشف عن وجهها امرأة مشبوهة وغير جديرة بالثقة والاحترام ، علماً أنَّ الناس كانت تعزف عن القاضي إذا عرفوا أنَّ زوجتهِ تخرج من بيتهِ سافرة أو لوحدها[٧] .

أكدَ ابن عبدون[٨] في المحافظة على المرأة، ونبه أنْ لا يكون جسدها عرضة لبعض المنحرفين الذين يستغلون النساء لتحقيق غايات ومآرب دنيئة لذلك شددَ :"على ألا يتُرك الشباب أيام الأعياد أو أيام الجمع يجلسون على الطريق لاعتراض النساء"، إذ تُعد هذهِ الأيام من أهم المناسبات والأوقات التي تستفحل فيها ظاهرة التحرش بالنساء لا سيما اللواتي يخرجنَّ من الحمامات ، أو من يلبسنَّ الملابس الضيقة ، أو أثناء الازدحام في الطرقات، أو من يذهبنَّ لزيارة القبور[٩] . كذلك أكدَ على عدم السماح للباعة في المكوث في المقابر والبقاء فيها ، لأنَّهم يكشفون عن النساء الحزينات اللائي يذهبنَّ لزيارة الموتى ، فكُنَّ لا يدرينَّ ما يفعلنَّ فيفترشنَّ الأرض ، وربما يكُنَّ حاسرات الرأس كاشفات الوجه من الحزن[١٠] .

أوصى الفقهاء في المحافظة على المرأة وحذروا العوائل الأندلسية أنّ تقترب بناتهم من الكنائس أو الذهاب إليها،ذلك لأنَّ ثمة شريحة اجتماعية (القسيسين) تمتعت بحصانة دينية كونها ظاهراً تتستر بغطاء الدين والأخلاق الفاضلة ، فاكتسبت احترام الناس وإعجابهم بها ، والحقيقة تُخالف ذلك إذ أنّ هذهِ الشريحة كانت بعيدة كل البُعد عن تعاليم الدين المسيحي وعن أخلاقهِ الفاضلة، كونها ساهمت مساهمة كبيرة في تفكك العادات والتقاليد الاجتماعية في المجتمع الأندلسي، وذلك بمساعدة الكنائس التي سهلت على الناس ممارسة الرذائل مع الإفرنجيات فإنهنَّ يأكلنَّ ويشربنَّ ويزنينَّ مع القسيسين وما منهم إلا وعنده اثنان أو ثلاثة يبيت معهنَّ ،وأنَّ هؤلاء القسيسين : فسقة ، زناة ولوطة اعتادوا على فعل المحرمات وممارسة الرذيلة ، وعزفوا عن الزواج واعتادوا على ممارسة الزنا . لذلك مُنعت النساء المسلمات من دخول الكنائس تحسباً من أي غرض مشبوه[١١] .

عذرية المرأة وأهميتها في المجتمع الأندلسي .

شكلت عذرية المرأة عند الأندلسيين أمراً في غاية الأهمية ، وقد فضلَ الرجل الأندلسي الزواج بالفتاة البكر[١٢]، وهو أهم شرط اشترطه الرجل في المرأة ، ولذلك تم تخصيص امرأتين للشهادة قبل الزواج للتأكد من عذرية الفتاة ، لأنَّ بعضهنَّ ادعينَّ أنهنَّ إبكارا وفي ليلة الزواج ثُبت غير ذلك ، ففي هذا الصدد تزوج رجل بفتاة على أنها بكر فوجدها ثيباً من زوجين[١٣] . ومما تجب الإشارة إليهِ أنّ غشاء البكارة يمكن أنّ يسقط لأسباب عدة منها : الوثبة أو الحيضة والتعنيس ، الأمر الذي تنبه إليهِ فقهاء الأندلس ، وأفتوا بما يمنع ظلم المرأة[١٤]، وقد كان فقدان الفتاة لعذريتها سبباً لجلب العار لها ولأسرتها ، لذلك التجأت الأسر إلى كتابة عقود لبناتهنَّ اللائي فقدنَّ عذريتهن لسبب خارج عن إرادتهنَّ ، وذلك قصد دفع العار الذي يلحق بها وبأسرتها إذا تبينَّ ليلة زواجها أنها ليست باكراً ، وبالتالي يقوم الزوج بإرجاعها لبيت أهلها، الأمر الذي يلحق العار بهذهِ الأسرة، لذلك حرصت البنات على عذريتهنَّ أشد الحرص ولم يفرطنَّ في ذلك إلا لأسباب خارجة عن إرادتهنَّ[١٥].

المرأة الأندلسية وظاهرة الانحراف .

اشتهرت المرأة الأندلسية بجمالها البارع وعُرفت لدى العامة باسم الثريا كناية عن جمالها وحِسنها البارع[١٦]، حيث امتازت بالنظافة والاهتمام بجسدها ، وكثرة التزين بأدوات الزينة، لا سيما قشور الجوز التي تُستخدم كصبغٍ للشفاه ، والجواري منهنَّ سافرات لا يغطينَّ وجوههنَّ[١٧]. وفي ذات السياق لم تتردد المرأة الأندلسية في ارتياد الحمامات التي كانت مركزاً للاجتماعات ومجالس للهو والأنس والغناء، وملجئاً للترفيه عن النفس ، والتمتع في كل ما هو جميل[١٨] .

اعتنت المرأة الأندلسية بجسدها اعتناءً كبيراً بحيث خالف بعضهنَّ حدود الشرع الإسلامي ، ووصل الحال ببعض النسوة أنَّ يفطرنَّ في شهر رمضان المعظم لغير عذر شرعي ، وذلك لأنَّ المرأة إذا كانت مبدنة ، وتخشى أنَّ يختلَ عليها حال سمنها في حالة الصوم فتفطر لأجل ذلك ، والحال ينطبق على البنات الأبكار حيث يُفطرهنَّ أهلهنَّ خيفة على تغيير أجسامهنَّ على الحِسن والسمن ، ناهيك عن من كانت منهنَّ قد عقد عليها

زوجها ولم يدخل بها فتترك الصوم خيفة على بدنها أنَّ ينقص ، وكل هذا محرم[١٩] . ومما لاشك فيه أنَّ المبالغة في العناية بالجسد إلى هذا الحد يُعد مخالفة لأوامر الدين ، وابتعاداً عن تعاليم الإسلام، وإبراز التأثير الاجتماعي بوصفه المؤثر الأقوى من نظيره الديني .

أما عادة سفور المرأة فلم تكن من الأمور المستغربة في مشهد العادات والتقاليد الأندلسية التي ألفت رؤيتها سافرة ومشاركة في الكثير من الأعمال العامة ، لا سيما في الطبقات الدنيا سواء في المدينة أو الريف[٢٠] ، وكان عادة النساء القرطبيات الخروج بعد كل صلاة ظهر من يوم الجمعة إلى السوق عند باب العطارين[٢١] لقضاء بعض الحاجات لذلك لم يخلصنَّ من ملاحقة الرجال ، فقد كانوا يتحينون الفرص لمعاكستهنَّ على قارعة الطريق إذ أنَّ الواحد منهم كان يتزين ويتعطر ويجلس مترقباً مفسحاً المجال قدر الإمكان لشهوة قيدها الشرع بحدود تهذيبها ، على أمل أنّ يغض الطرف ويصون حرمة الغير متلفظاً بما لا يصح ، وكعادة كل الأسواق فأنَّ الاختلاط فيها والزحام يؤدي إلى تلاصق أجساد بعضهم ببعض حتى أنَّ رجلاً ضم امرأة من خلفها فعبثَ بها في مزدحم الناس[٢٢] .

وبالعودة إلى باب العطارين يقدم ابن حزم معلومة عن هذا الباب ويؤكد أنَّ هذا الموضع كانَ مجمعٌ للنساء في وقتهِ إلا أنَّهُ لا يقدم تفصيل حول هذا الموضوع وربما كان هناك متنزه قريب من هذا السوق تجتمع فيهِ النساء حتى أصبحَ بمرور الوقت مكاناً خاصاً يلتقي فيهِ العشاق[٢٣] .

ذكرت الروايات التاريخية أنَّ المرأة الأندلسية أحيانا تسير وحدها في الطرقات، أو تذهب إلى ضفاف الأنهار والوديان للتنزه والاغتسال[٢٤]، الأمر الذي سهل اختلاطها بالرجال ومن بين القرائن التي تدل على الاختلاط هو ما أشار إليهِ ابن قزمان[٢٥] في أحد أزجالهِ في الحادثة التي وقعت له مع امرأة في أحد أرباض قرطبة[٢٦]، إذ دعته إلى منزلها في مشهدٍ فكاهي لتحتال عليهِ وتسخر منه[٢٧]، ولعلَّ ذلك خير مؤشر على أنْ المرأة الأندلسية كانت تتمتع بحرية كبيرة فيما يخص خروجها من البيت وحديثها مع الرجال دون رقيب . وقد يتجاوز الرجل حدود النظرة الشرعية وتقوده شهوته وجرأته واستسلامه لهواه إلى تتبع المرأة لتحري مسكنها ، ويتجلى ذلك واضحاً بما فعله الشاعر يوسف بن هارون الرمادي[٢٨]، إذ كان مجتازاً عند باب العطارين حيث مجمع النساء فرأى جارية أخذت بمجامع قلبه وتخلل حبها جميع أعضائهِ، فانصرفَ عن طريق الجامع وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة فجازتها إلى الموضع المعروف بالربض. فلما صارت بعيدة عن أنظار الناس ، فانصرفت إليه وقالت له: ((مالك تمشي ورائي فأخبرها بعظيم بليته بها. فقالت له: دع عنك هذا ولا تطلب فضيحتي فلا مطمع لك في البتة ولا إلى ما ترغبه سبيل، فقال: إني أقنع بالنظر، فقالت: ذلك مباح لك ، فقال لها: يا سيدتي، أحرة أم مملوكة قالت: مملوكة، فقال لها: ما اسمك. قالت: خلوة، قال: ولمن أنت فقالت له: علمك والله بما في السماء السابعة أقرب إليك مما سألت عنه، فدع المحال، فقال لها: يا سيدتي، وأين أراك بعد هذا قالت:

حيث رأيتني اليوم في مثل تلك الساعة من كل جمعة فقالت له: إما تنهض أنت أو انهض أنا فقال لها: انهضي في حفظ الله. فنهضت نحو القنطرة ولم يمكنه إتباعها ...، وأخذ يقول : فو الله لقد لازمت باب العطارين والربض من ذلك الوقت فما وقعت لها على خبر ولا أدري أسماء لحستها أو أرض بلعتها ؟)) [٢٩]، وأنشد لها شعراً وأخذ يتغزل بها . ومن خلال هذهِ الرواية نستشف حقائق منها :-

١- أنَّ المرأة الأندلسية كانت تتمتع بقدر كبير من الحرية .

٢-اغتنام الرجال فرصة خروج النساء للتبضع من الأسواق والتفرج عليهنَّ ، فكيف تأخذ بمجامع قلبهِ لو لم يمعن النظر إليها طويلاً ، ويطيل المراقبة حتى اندفع الرمادي لتغيير طريق الجامع متخلياً عن درب يقوده إلى الله[٣٠] .

٣- أن التحول الهائل في مشهد القبور وظهور دكاكين تُباع فيها مواد مختلفة ، قد انعكس سلباً على حرمة المكان ، وشجع على ظهور أنشطة جديدة محرمة تمثلت بانتشار الدعارة في المقابر حتى عُدت مكاناً مناسباً تمارس فيهِ الرذيلة ، وذلك بتحول هذهِ الدكاكين إلى أماكن للدعارة لا سيما في فصل الصيف حيث تقل الحركة ، وتخلو الطرق الأمر الذي أشار إليهِ ابن عبدون قائلاً : ((يجب أن يحد للعرفاء أن يفتشوا الدارات ، فأنها مواضع أوكار لا سيما زمان الصيف عند خلاف الطرق في القيالات)) ، ولم يكتفِ بذلك بل أمر بهدم هذهِ الدكاكين[٣١] . ولعلَّ ذلك مؤشراً واضحاً يدل على العبث بالمقدسات الإسلامية ، وانزلاق المجتمع إلى مستوى الحضيض.

٤- أن سفور المرأة الأندلسية وملابسها الجميلة أضفت عليها جمالاً بارعاً كان مبعثاً لإثارة الرجل لاسيما ممن لا يتحلى بإيمانٍ قوي . وقد خصَ ابن الخطيب[٣٢] سفور المرأة واختلاطها بالرجال عند حديثه عن نساء مدينة رندة[٣٣]، حيث قال : ((... ، وفي أهلها فضاضة وغضاضة ما في الكلف بها غضاضة ، يلبس نساءها الموق على الأملد المرموق ، ويسفرنَّ عن الخد المعشوق)) ، أما عند حديثه عن نساء مدينة وادي آش[٣٤]، حيث قال: ((وألتف أرباب الحجا بربات الحجال ، فلم نفرق بين السلاح والعيون الملاح ، ولا بين حمر البنود وحمر الخدود))[٣٥] . ونستدل من ذلك أن المرأة الأندلسية شاركت في محافل ومهرجانات كان الاختلاط فيها مباحاً وهذا في إطار ما منحه المجتمع من حرياتٍ كثيرة للمرأة الأندلسية هذا إلى جانب جمالها البارع الذي كان علامة مميزة لها .

أما مجالس الأُنس التي كانت تُقام في البيوتات والمجالس الخاصة ، فأنها تُعتبر وسيلة لنشر الفساد والإفساد إذ بلغت فيها التجاوزات في العلاقة بين الرجل والمرأة حداً ينم عن ضعف الأخلاق وانحلالها ، ففي مجلس أُنس أقامهُ أحد الأشراف وصلت الخسة والدناءة بالضيف أنْ يتغامز مع بنت من بنات صاحب الدار ، واخذَ ينفرد بها بين الفينة والأخرى ، وصاحب البيت كالغائب الحاضر ، ولم يتفطن لما يحدث في بيتهِ ، رغم أنَّ ابن حزم الذي كانَّ من ضيوف المجلس نبهُ مِراراً لما يحصل خلف ظهرهِ بتكريرهِ لبيتي شعر قال فيهما :-

أن إخوانه المقيمين بالأمس أتوا للـزنا لا للغناء

قطعوا أمرهم وأنت حـمار موقر من بلادة وغباء[٣٦]

فما كان من صاحب المجلس إلا أنّ يقول: ((وقد أمللتنا من سماعهما فتفضل بتركهما أو إنشاد غيرهما))[٣٧] ، فالأمر كان يبدو لابن حزم نوعاً من التندر، لذلك أحسَ أنَّ تندره لا يؤثر في ذلك البلد ولم يحقق مراده .

كانت المجالس الأدبية التي تعقد بين الرجال والنساء بوابة من بوابات الفساد ، إذ كثيراً ما كان يسود هذهِ المجالس اختلاط كبير تكون فيهِ النساء حاسرات الرأس دون حجاب[٣٨] .

أما التحرش بالنسوة لم يكُن مقتصراً على عامة الناس بل كان لأصحاب النفوذ والمراتب العليا في الدولة نصيباً من ذلك، فما كاد ينفد هؤلاء في مساومة النساء على شرفهنَّ ، من اجل قضاء حوائجهنَّ ، ويتضح ذلك جلياً من خلال ما ذكره ابن عبدون[٣٩] ، وخصه بالقول : ((ما يقدم عليهِ بعض الحساب والقاصين من مراودتهم للنساء عند الخلو بهنَّ ، وما يقدم عليهِ أعوان الحاكم من وعود النساء بالتوسط لهنَّ عند الحكام)). استناداً لما تقدم يبدو أنَّ التحرش بالنسوة كانَ آفة منتشرة في المجتمع الأندلسي ، لم يقتصر على فئة دون أخرى ، بل هي آفة مارسها بعض الرجال لا سيما هؤلاء الذين لا يتحلون بإيمانٍ قوي .

أنتشر الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأندلسي انتشاراً واسعاً ، ولم يكُن الرجل في كل المرات مبادراً ، بل تجرأت بعض النساء وأزلنَّ عن وجوههنَّ ماء الحياء ، إذ أفصحت جارية عن حبها لفتى من أبناء الرؤساء وهو لا علم عنده ، وكثُر غمها ، وطال أسفها وهامت بحبهِ ، وهو في ريعان الصبا لا يشعر ... فنفذَ صبرها ، وضاق صدرها ولم تمسك نفسها في جلسة كانت لها معه في بعض الليالي منفردين ... فلما حان قيامها عنهُ بادرت إليهِ فقبلتهُ في فمه ، ثم غادرت المكان ولم تكلمه بكلمة، وهي تتهادى في مشيها[٤٠] ، ولعلَّ هذا الموقف يعطينا صورة واضحة عن الانحلال الخُلقي المتفشي الذي يدفع امرأة بالمبادرة بإعلان حبها لفتى وتعبر عنه بهذا الأسلوب .

على النقيض من ذلك علينا أنّ لا نجزم بأنَّ النساء في الأندلس كُلهنَّ سافرات متحررات بل وجدت منهنَّ المحجبات المتمثلات للقيم الإسلامية سواء من الحرائر أو الجواري ، لذا فعلينا أنّ لا ننساق وراء تصورات وافتراضات لملئ فراغات بخصوص تاريخ المرأة الأندلسية ،لا سيما فيما يتعلق بحريتها وعفتها ، إذ حظي تاريخ الأندلس بنساء طاهرات عفيفات كانَّ لهُنَّ دوراً كبيراً في مفاصل الحياة كافة .

وبخصوص ذلك ذكر ابن حزم[٤١] أنَّ امرأة أثق بها أنها علقها فتى مثلها في الحسن وعلقته وشاع القول عليهما، فاجتمعا يوماً خاليين فقال: هُلمي نحقق ما يقال فينا. فقالت: لا والله لا كان هذا أبداً، وأنا أقرأ قول الله: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾[٤٢] ، قالت: فما مضى قليل حتى اجتمعا في حلال .

المبحث الثاني

أحوال الخراجيات في الأندلس

البغاء والزنا (الخراجيات) .

استند الحكم الإسلامي في الأندلس على كتاب الله وسنة رسوله الأكرم محمد ﷺ ، ومحاربة كل مايخالف الشريعة الإسلامية ، إذ عملت الحكومات التي تعاقبت على حكم الأندلس على محاربة الآفات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع الأندلسي ، ومن هذهِ الآفات آفة البغاء والزنا[٤٣] ، التي كانت منتشرة آنذاك وأصبحت ظاهرة مستهجنة تُمارس في أغلب الأحيان في فنادق خاصة لبائعات الهوى تعرف بدور الخراج[٤٤] ، وأطلق على هؤلاء النسوة مصطلح الخراجيات[٤٥]، في حين ورد ذكرهنَّ في روايات أخرى بعبارة الفاجرات أو العاهرات[٤٦] ، وهؤلاء اتخذنَّ من دور الخراج مكاناً لممارسة البغاء تكسباً للعيش ، وإلى جانب دور الخراج كانت هناك أرباض خاصة ببيوت الدعارة عُرفت آنذاك باسم القصيفة[٤٧] ، كذلك فقد كُنَّ يتواجدنَّ بكثرة في الحانات التي يرتادها رجال عابثون باحثون عن اللهو والمُتعة والمجون ، فقد كانَ وجودهنَّ عامل جذب لتحقيق ربح كبير لأصحاب تلك الحانات . وليس بالضرورة أن تلتزم العاهرة بتلك الأماكن ، بل منهنَّ من كُنَّ يقضينَّ ليالٍ في غير هذهِ الأماكن مقابل مبلغ من المال[٤٨] .

لم تكن دور الخراج كافية لفعل الفاحشة ، بل كانت في بعض الأحيان تستخدم الكنائس لهذا الغرض إذ وردَت إشارات في بعض الروايات التاريخية تؤكد أنَّ فعل الفاحشة ومقاربة الرذيلة كانَ يُمارس أيضاً في الكنائس على الرغم من أنها كانت آماكن للعبادة ومنطلقاً لنشر الفضيلة وموعظة الناس ، إذ سهلت الكنائس على الناس ممارسة الرذيلة مع النساء الإفرنجيات الأمر الذي أكده ابن عبدون[٤٩] بالقول :" فأنهنَّ يأكلنَّ ويشربنَّ ويزنينَّ مع القسيسين ، ... وقد صار هذا عرفاً عندهم ، لأنهم حرموا الحلال ، واستحلوا الحرام"[٥٠] .

يبدو أنَّ هؤلاء النسوة لم يُكنَّ أندلسيات ربما كُنَّ من جنسيات أوربية أخرى ، أو جيَّب هنَّ من فرنسا التي تربطها مع اسبانيا حدود شمالية شرقية ، أو لعلهنَّ كُنَّ من نصارى الممالك الأسبانية وهؤلاء النسوة كُنَّ بالتأكيد يختلفنَّ عن النساء الأندلسيات ولهذا ميزهنَّ ابن عبدون في إشارته تلك . وهنا يتضح بشكل واضح سبب منع النساء المسلمات من دخول الكنائس لأن القسيسين فسقة زناة .

لم تكن شريحة الخراجيات بعيدة عن اهتمامات المحتسب ، بل كُنَّ تحت مراقبة المحتسب حيث نُهيَّ هؤلاء النسوة عن كشف رؤوسهنَّ خارج الفندق وعدم إظهار زينتهنَّ أمام باقي النساء ، أو السير بينهنَّ ، ونُهينَّ من مشاركة باقي النسوة الأفراح ولو دعُينَّ لذلك[٥١] ، ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد بل شدد الفقهاء أيضاً على لبس نعل النساء وحذروا من لبس النعل من نوع الخفاف (الصرارة) التي تحدث صوتاً عند المشي لجذب الأنظار ، وكان المحتسب ينهي الخزازون (صانعي الأحذية) ، عن صنع تلك النعل ، فأن عملوها بعد النهي ، وقع عليهم العقاب[٥٢] . ولعلَّ هذهِ الإجراءات تعود في إطار المحافظة على الآداب العامة ، ومحاولة إصلاح السلوك الاجتماعي ، ومنع تأثير هؤلاء النسوة على بقية النساء من عامة المجتمع والإيقاع بهنَّ . ورغم هذا

النهي والتشديد ، إلا أنهنَّ لم يتخلينَّ عن كامل زينتهنَّ المبالغ فيها فهنَّ متبرجات كاشفات الشعر هدفهنَّ إغراء الرجال ، وتحريض النساء على ممارسة الرذيلة[٥٣] .

تخطت شريحة الخراجيات فئات المجتمع الأندلسي ، ولم تأبه المراكز والوظائف العليا في الدولة لغرض تحقيق غايات ومكاسب مادية ومعنوية ، إذ جاء في الرواية التاريخية أنَّ امرأة خراجية ماجنة رفيعة مهيبة تدعى رسيس اتصلت بالخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)[٥٤] ، وخفت عليه حتى حمله ذلك على أنْ أركبها مكشوفة في موكبه بقلنسوة وسيف تقلدته، على بغل خلفه، بينه وبين الأولاد، في يوم سرور، وشقَّ باب العطارين في قرطبة[٥٥] .

اتخذت الخراجيات أجسادهنَّ وسيلة لكسب المال عن طريق تقديم المتعة الجنسية لطالبيها مقابل كسبٍ مادياً يُتفق عليه[٥٦] ، وتُعد هذهِ الظاهرة تحولاً اجتماعياً ساهم في إيجاد مهنٍ غير مشروعة أو محرمة ، أو ظهور سلوكيات منحرفة في المجتمع الأندلسي[٥٧] . فانتشرت مهنة الرقص والغناء وسائر فنون التسلية داخل دور الخراج[٥٨]، وكان من انعكاسات ذلك ، انتشرت هذهِ الدور في كل مكان وعم الفساد في هذهِ الأماكن[٥٩] ، الأمر الذي ساعد على نشر الزنا في المجتمع وأشاعت الفساد بين بعض النساء[٦٠] .

لم يقتصر عمل الخراجيات داخل هذهِ الدور بل كان من الممكن الإرسال في طلبهنَّ إلى المنازل ، ولعلّ ذلك مؤشر واضح على مدى الانحلال والانحراف الخُلقي الذي شهدهُ المجتمع الأندلسي ، إذ كان لمظاهر الخلاعة والبغاء والمجون دوراً كبيراً في انتشار الرذيلة داخل المجتمع حتى أنَّ مدناً أندلسية اشتهرت بوجود الملاهي ودور الخراج الفاخرة الأمر الذي ينطبق على مدينة اشبيلية[٦١] التي كانت من أحسن مدن الأندلس ، أشتهر أهلها بالخلاعة والمجون [٦٢] ، يضاف إليها مدينة أبذة[٦٣] ، التي اشتهرت بالخلاعة والمجون والبغاء ، إذ كان فيها من أصناف الملاهي والراقصات المشهورات بحسن الانطباع والصنعة ، فإنهنَّ أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف والدك ، وإخراج القروي والمرابط المتوجه[٦٤] ، وينطبق الحال على مدينة شريش[٦٥] التي اشتهرت نسائها بممارسة الدعارة والبغاء ، وأهلها يظهرون الرفاهية فلا تكاد ترى بها إلا عاشقاً ومعشوقاً [٦٦] .

وطالما تحدثنا عن البغايا والمتمردات (الخراجيات) على المنظومة القيمية في المجتمع الأندلس لابد أنَّ نتطرق إلى صفاتهنَّ وحالتهنَّ الاجتماعية ومن أي الفئات ينحدرنَّ ، وغالب الظن أنهنَّ ذوات حِسنٍ وجمالٍ فضلاً عن إجادتهنَّ للرقص[٦٧] ، فراقصات أبدة اشتهرنَّ بحسن الانطباع والصنعة[٦٨] وبالظرفِ والخفةِ والدراية بالأخبار والفكاهة ولطف الحديث والقدرة على تسلية الزبائن جامعات بين المتعة الحسية والجسدية[٦٩]. ولعلَّ أنَّ هؤلاء النسوة ينحدرنَّ من طبقة العامة وأغلبهنَّ من الأرامل وبعض زوجات الأسرى والمفقودين اللواتي ضاقت بهنَّ سُبل العيش وقساوة الظروف الاجتماعية والاقتصادية وصعوبة العيش ، فلجأنَّ إلى ممارسة الرذيلة كالدعارة ،أو البغاء كسبيل لتجاوز واقعهنَّ ومواجهة نوائب الدهر[٧٠] . ولم يترددنَّ في بيع أعراضهنَّ

وأجسادهنَّ والارتماء في هذا الوسط الوضيع لتخطي ازماتهنَّ[٧١] ، ولعلَّ هذا التحول الاجتماعي ساهمَ في وجود حالات شاذة ومحرمة، بذل الفقهاء جهوداً كبيرة لإدانتها ، إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على هذهِ الحالات ، لأنَّ الفترة الزمنية أضحت ملكاً للإنسان لانفصاله عن الدين وعاد إلى العقلية البدائية في الخلاعة وتعاطي العُهر[٧٢] .

لم تكن الأسباب سالفة الذكر هي الوحيدة في انتشار هذهِ الظاهرة بل أنَّ هناك أسباب أخرى منها عزوف الرجل أو المرأة عن الزواج لغلاء المهور وضنك العيش[٧٣] ، أو لتفشي ظاهرة الطلاق التي كانت منتشرة في المجتمع الأندلسي خلال حقبة حكم المرابطين (٤٨١-٥٤١هـ / ١٠٨٨-١١٤٦م)[٧٤] إذ أسهمَ غياب الأزواج عن زوجاتهن مدة طويلة في تفاقم المشاكل الزوجية التي أفضت إلى الطلاق والتفريق فيما بينهما[٧٥] ، كذلك قد يحصل الطلاق نتيجة لإصابة الرجل ببعض الأمراض المستعصية مثل : الجنون ، البرص ، الجذام أو لعدم قدرة الزوج على معاشرة زوجته نتيجة لضعف قدراته الجنسية[٧٦] .

كانَّ للأسباب سابقة الذكر دوراً مهماً في انحراف المجتمع وانتشار آفة الدعارة والزنا بشكلٍ كبير بين أوساط النساء وعُدت أحدى اكبر المشاكل التي ألقت بثقلها على المجتمع الأندلسي، لذا فأنَّ بعض النساء ممن اشتهرنَّ في البغاء والفجور (الخراجيات) كُنَّ يلجأنَّ إلى رمي أبنائهنَّ من الزنا صغاراً ، وذلك للتخلص من فضيحة الزنا[٧٧] . وقد حفلت كتب النوازل بحوادث زنا وسلوكيات منحرفة لنساء تزوجنَّ وهنَّ في عصمة رجل آخر ، إذ ورد في أحدى النوازل أنَّ امرأة غاب عنها زوجها لمدة ثلاث سنوات فطلقت نفسها وقضت عدتها وتزوجت ، فأقام الزوج الثاني معها مدة فغاب أيضاً عنها ، فعلمت بعد غياب الزوج الثاني بمكان الزوج الأول ، وكان في غير ذلك البلد الذي كانت فيهِ فمشت إليهِ دون أن تعلمه بما صنعت من طلاق نفسها ولا من زواجها الثاني ، فصارت معه على حسب ما كانت معه أولاً ، دون أنّ يعلم بما حصل حتى ولدت منه أولاداً ، ثم أنَّهُ عِلمَ بما فعلته من طلاقها وتزويجها غيره ، وأنها في عصمة ذلك الزوج الثاني فأعتزل عنها[٧٨] .

استدعت ممارسة آفة الزنا شيوع ظاهرة الدعارة ، واعتبرت مسرباً من مسارب الزنا ، والقوادة التي تستدعي التوسط بين الرجال والنساء تشجيعاً للدعارة ، الأمر الذي أشار إليهِ الزجالي وجسدهُ بشكل أمثال تدل على انتشار الدعارة والزنا في المجتمع الأندلسي [٧٩] .

كان من مرتكزات شيوع آفة الزنا في المجتمع الأندلسي ، وجود السفيرة التي كانت مهمتها تسفر بين الرجال والنساء نظير مبلغ معين يكون من نصيبها ، الأمر الذي جسده الزجالي بمثل قال فيه ((المرا المديد ماتحتاج لقويدة))[٨٠] .

اشتهرت نساء برشانة[٨١] بالعمل بمهمة السفارة وكان لهنَّ دور كبير في هذا الشأن وذكرهنَّ ابن الخطيب[٨٢] بالقول :((للمجون به سوق وللفسوق ألف سوق تشمر بهِ الأذيال عن سوق ... ، وعلى وجوه نسوانها طلاقة ،

وفي ألسنتهم ذلاقة ولهنَّ بالسفارة في الفقراء علاقة)) . وغالباً ما تكون السفيرة امرأة عجوز تتزين بزي الصلاح والعبادة وتعلق في عنقها سبحة ، لكي لاتجلب الشك بسبب نسكها وتقدمها في السن ، غير أنَّ الأهل تفطنوا إلى ذلك ومنعوا بناتهم من الاحتكاك أو التواصل مع هذا النوع من النساء ، الأمر الذي أشار إليهِ ابن حزم[٨٣] بالقول : ((كان أرباب الأسر بقرطبة يحذرون الفتيات الناشئات من النساء ذوات العكاكيز والتسابيح والثوبين الأحمرين)) .

من خلال ما تقدم نستطيع أن ندرك حجم الفساد الذي كان يهدد المجتمع الأندلسي جراء ممارسات السفيرات ، وندرك أنَّ السفيرة أصبحت مهنة تبتكر فيها الحيّل لأجل تحقيق غايات وأهداف معينة . وقد ذكر الونشريسي أنَّ قاضي المالكية الإمام سحنون بن سعيد[٨٤] ، أمر بضرب وسجن امرأة سفيرة كانت تجمع بين الرجال والنساء في بيتها ، وأمر برحيل امرأة أخرى وسد باب بيتها بالطين والطوب بعدما اتضح أنها اتخذته مكاناً للدعارة والجمع بين الرجال والنساء[٨٥].

عُرفت الأندلس حوادث زنا كسلوكيات منحرفة ، نجمت عن ترف بعض الأندلسيين ، ويبدو أنَّ ما شجع على ذلك خروج النساء والجواري الجميلات كاشفات الوجه[٨٦] ، وقد أستغل باعة العبيد هذه المظاهر وأخذوا يحرضون الجواري ويأمروهنَّ بالتبرج وإبراز مفاتنهنَّ ، وأن يتبخترنَّ في مشيهنَّ وأنّ يتدللنَّ من أجل أغراء المشتري[٨٧] ، أو يفرضون عليها (الجارية) أنّ تمارس البغاء مقابل المال ويبيعون ماينجبنَّ فيما بعد لتكون الفائدة مشتركة غير مراعين في ذلك إنسانية الجارية، ولا حقوق الاطفال[٨٨] .

في ظل أجواءٍ كتلك التي عاشها المجتمع الأندلسي ، لم يكن حتى بعض الرجال المتدينون ممن عرفوا بالصلاح والعفة بمنأى عن الانزلاق في طريق إتباع الهوى والانقياد وراء عشق محرم فقد ذكر ابن حزم قصة وقعت مع احد أصدقائهِ الذي عُرف بالصلاح والتمسك بالدين ، أحب امرأة جارية ذات جمال بارع ، فأرادها لنفسهِ فامتنعت عليهِ ، وطال الأمر بهِ مدة من الزمن ، وحمله حبه لها أنّ نذرَ نذراً بأنهُ إذا نال منها مراده يتوب إلى الله توبة صادقة ، ومع مرور الزمن حصل له ما يريد ، وقد اخبر هذا الرجل ابن حزم بالحادثة[٨٩] .

فسدت أخلاق بعض الناس، وتفشت الرذيلة وكثُرَ الانحلال الأخلاقي في المجتمع الأندلسي واختلطت الأمور على الناس وانتشرت ظاهرة الارتكاب والتجني والادعاء الكاذب على بعض الرجال من قبل بائعات الهوى من النساء الفاسقات (الخراجيات) لأجل الابتزاز والحصول على المال ، إذ ادعت امرأة كذباً بأن رجلاً أكرهها على نفسها واغتصبها ، مستهدفة من ذلك أرغامه على دفع المال ثمناً لسكوتها وعدم الإبلاغ عنه وتجنباً لعقوبة السجن والجلد بالسياط وهي عقوبة من يقدم على ارتكاب مثل هذهِ الجرائم[٩٠] . ونتيجة لانتشار هذهِ الظاهرة تنبه فقهاء الأندلس لخطورة الأمر ووقفوا موقفاً جاداً للحد من هذهِ الظاهرة ، إذ ورد في نوازل أبن بشتغير أنَّ امرأة ذكرت عند القاضي أنَّ رجلاً خدعها وافتضها ، وشُهدَ له أنهُ من أهل الطهارة والحال الحسن وأنها منسوبة إلى الرديء ، فأجاب القاضي : أنها تحد حد القذف ثمانين ولإقرارها بالزنا مائة سوط[٩١] .

والحديث عن البغاء والفجور يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن ما يترتب عنه من انحلال أخلاقي والوقوع في المحظور ، وظهور مظاهر غير أخلاقية في المجتمع الأندلسي منها : ظاهرة الخيانة الزوجية وزنا المحارم ، التي رسخت في الذاكرة الشعبية ، فهناك من طوحت بهِ الأقدار فتزوج مومسة وأدركها وهي متلبسة بجريمة الخيانة ، إذ عادة ما تنتهي هذهِ العلاقة المنحرفة المتمثلة في الخيانة الزوجية إلى جريمة قتل المرأة[٩٢] . حيث ذكر ابن سهل[٩٣]، رواية مفادها أنَّ شخص يسمى قاسم بن أبي طالب[٩٤] ، قد جاء إليه يشكي حال زوجتهِ التي تدعى سعدونة بنت سعيد[٩٥] ، وذكر أنها كانت تخونه مع شخص آخر وضبطها متلبسة وهي تزني مع عشيق لها . كذلك يُذكر أنَّ ابن قزمان أقدم على فعل الفاحشة حينما راود زوجة جاره فتمكن من وطئها[٩٦] . وقد جسدت أمثال العوام هذا النوع من الخـــيانة بالـــقول : ((بين ذا وذا ، زوجها قد جاء))[٩٧] .

كذلك أورد ابن حزم[٩٨] رواية مفادها أنَّ امرأة غاب زوجها لقضاء بعض حاجياته ، غير أنَّهُ تأخر عن العودة حتى مشى العسس فلم يعد بإمكانهِ المضي إلى بيتهِ الذي ترك فيهِ صديقه ، فلما تيقنت الزوجة باستحالة عودة زوجها تاقت إلى الضيف فبرزت إليهِ ودعته إلى نفسها ، لكنهُ امتنع عن ذلك ولم يُمكنها مما ابتغت إليهِ ، وبذلك يكون الرجل الضيف حافظ على دينهِ وورعهِ وتقواه .

ويتحفظ الباحث على انتشار هذهِ الظاهرة (الخيانة الزوجية) إذ لا ننفي وجود حالات فردية تدل عن ضعف العقيدة الدينية ، ولعلَّ هذهِ الحالة كانت تُمارس من قبل النساء اللائي تزوجنَّ رجالاً متقدمين في السن ، لذلك لا يمكن أنّ نطلق العموميات ومن الخطأ أنّ نُعممها على المرأة الأندلسية .

أما مايخص الزنا في المحارم يذكر أنَّ امرأة تعرضت لابنها وهو سكران حتى وطئها فحملت وأنجبت طفلة منه وأخفتها حتى كبرت ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل وصل إلى ماهو أشنع من ذلك فقد بلغت الأم من الإباحية ما لا تقبله نفس إنسان بأي حال من الأحوال ، وذلك أنَّ تلك البنت كبرت ونشأت بعيداً عن أعين الأهل، وحين بلغت استقدمتها الأم وانكحتها من الابن على أنها جارية أجنبية، فتزوجها دون أنَّ يعلم أنها ابنته من الزنا فأنكحها وولدت[٩٩] ، وفي لحظة ضعف تحرك ضمير الأم وندمت على فعلتها ، ولجأت إلى الفقهاء مستفتية فيما فعلته ، فلا يفهم ما أقدمت عليه أهو عن جهل ، أم هو عن قصد ، ولكن مهما كان ذلك فما حصل أمراً ليس بالهين[١٠٠] .

الإجهاض والتخلص من الأطفال الغير شرعيون .

ترتب على انتشار آفة الزنا والبغي عند بعض النساء اللواتي يمارسنَّ الزنا سوا متزوجات أو غير متزوجات ، تفشي ظاهرة الحمل غير المشروع وانتشار الإجهاض ، بشكل كبير في المجتمع الأندلسي[١٠١] ، لذا فأنَّ هؤلاء النسوة لجأنَّ للتخلص من حملهنَّ : إما بقتل المولود أو إدعائهنَّ بأنهنَّ حملنَّ من زوجٍ غائب ، أو القيام

بالإجهاض تجنباً للعار والفضيحة[١٠٢] . وقبل الخوض في موضوع الإجهاض علينا أنّ نعرف ماذا يقصد بالإجهاض لغة واصطلاحاً .

١- الإجهاض في اللغة . يقال أجهضتهُ أي إزالته عن مكانه والإجهاض الازلاق ويقال للسقط جهيض[١٠٣]، وقال ابن منظور[١٠٤] أجهضت الناقة إجهاضاً وهي مجهضٌ ألقت ولدها لغير تمام .

٢- الإجهاض اصطلاحاً . هو خروج الجنين من رحم أمه سواء كان الجنين تام الخلقة والمدة أم ناقصهما ، وسواء أكان بفعل المرأة الحامل أم بفعل غيرها[١٠٥]، ويتداخل مصطلح الإجهاض والإسقاط وكلاهما يدخل في معنى واحد، وأنَّ كان المصطلح الغالب في كتب الطب والفقه هي كلمة الإسقاط[١٠٦]،ويعرف الإجهاض من الوجهة الطبية بأنهُ خروج محتويات رحم المرأة الـحامل في أي وقت قبل تمام أشهر الحمل[١٠٧] .

انتشرت ظاهرة الإجهاض في المجتمع الأندلسي، ذلك جراء الممارسات اللا أخلاقية وغير الشرعية في الحمل غير المشروع ، وارتفاع نسبة الزنا والبغي عند الخراجيات . إذ ترتب على ذلك هيمنة الخطيئة والأنشطة المحرمة ، ومن غير المعقول أنَّ نلقي اللوم على النساء وحدهنَّ في ممارسة الرذيلة برضاها فمنهنَّ من أكرهنَّ بالقوة على ذلك ، لا سيما السبايا من النساء في الحروب والأمثلة على ذلك كثيرة إذ انتشرت إبان الفتنة القرطبية[١٠٨] ممارسات لا أخلاقية لا سيما بعد أنَّ نهبت ديار البربر بقرطبة وهتك ستر حريمهم وسُبيت نسائهم وباعوهنَّ في دار البنات وقتلوا النساء الحوامل[١٠٩] . كذلك تؤكد المصادر على إقبال ألإماء على ممارسة البغاء تحت ضغوط السادة[١١٠] ، كما وجد بعض النسوة اللائي كُنَّ يهُربنَّ من أسرهنَّ بالحواضر إلى الجبال بصحبة شباب من العزاب ، وقد حفلت المصنفات النوازلية بأحداث مهمة كشفت ما أُستتُر من وضعية الخراجيات في المجتمع الأندلسي ، فيذكر أنَّ امرأة هربت بصحبة عشيق لها فهربا سوية وخلا بها زماناً، ثم ردها إلى أهلها وخطبها وزعم أنَّهُ كانَ يزني بها أيام هروبها[١١١] . مما لاشك فيهِ أنَّ هذهِ الممارسات إللا أخلاقية أدت في المحصلة النهائية إلى ظهور مشكلة الحمل غير المشروع وانتشارها في المجتمع الأندلسي ، ولكي تحمي المرأة نفسها من الفضيحة تقوم بإسقاط الجنين وإجهاضهِ ، بواسطة استعمال الأدوية ، أو تلجأ لمن يُعنفها ويعمل على ضربها بهدف إجهاض الجنين والتخلص منه بأي وسيلة كانت درءاً من انتشار الخبر وحدوث فضيحة الزنا[١١٢].

شكلت ظاهرة الإجهاض علامة مميزة في المصنفات النوازلية ، وشغلت بال الفقهاء وأصبحت هذهِ المسألة تتردد في كتب الفتاوى ، فقد كانت المسألة التي وردت في مدينة المرية[١١٣]، بخصوص امرأة حملت من الزنا مرتين ، ثم قامت بقتل ما ولدت من بين المسائل التي عرضت على القاضي ابن رشد الجد[١١٤] ، كذلك ضمت أجوبة ابن ورد ، مسألة حول رجل زنت أمتهِ أكثر من مرة ، ثم حملت من الزنا فأرادت التخلص من الفضيحة وادعت أنّ حملها تم من زوج غائب[١١٥] . كما وردت إشارات عند الونشريسي إلى حالات إجهاض عديدة ، كانت عن

عمد للتخلص من الحمل ، فقد ذكرت أحدى النوازل أنّ بعض التجار كانوا يقومون بإعطاء جواريهم عند إمساك الطمث أنواعاً من الأدوية التي تحدث الإجهاض رغم فتوى الفقهاء بتحريم ذلك[١١٦] . كذلك يذكر أنَّ رجلاً أراد أنَّ يبيع جاريته فوجدها حاملاً فقام بإجهاضها فأقامت عليهِ دعوة أمام القاضي ، وقد تصدى لهذهِ القضية ثلاث من القوابل التي تقدمت بها الجارية للشهادة فشهدت اثنان منهنَّ أنَّ الجارية أجهضت عند مولاها وشهدت الثالثة أنها رأت السقط ولم يحضر السيد إسقاطهِ ، وعليهِ قبل القاضي الشهادتين[١١٧].

ويبدو أنَّ للدافع الاقتصادي دوراً مهماً في هذهِ المسألة فالسيد أراد أنَّ يتخلص من أي عيب قد يؤثر على عملية بيع الجارية ، فأقدم على إجهاضها بالقوة والتخلص من الحمل الذي يمنعهُ من بيع الجارية إذ يُحرم على السيد بيع جاريته في ما إذا كانت حاملاً ، أو أنجبت طفلاً لأنها في هذهِ الحالة تكون أم ولد ولا يجوز بيعها في حكم الشرع . وفي ذات السياق ورد سؤال إلى الفقيه اسحاق التجيبي[١١٨] في قضية التجار الثلاث الذين اشتروا جارية فأحبلها أحدهم ، فلما علم بذلك أحد شريكية ضربها ضرباً مبرحاً ففقأ عينها وضربها الثالث فطرحت جنيناً ميتاً ، وماتت الجارية من الضرب ، فقال الفقيه يعاقب الواطئ عقوبة موجعة لا يبلغ بها الحد، إلا أن يعذر بجهالة ، فتكون العقوبة أخف ، ويلزمه قيمة ثلثيها يوم الحمل لشريكه ، والولد لاحق بهِ ، وهي أم ولد وعلى الذي فقأ عينها قيمة جنايته عليها أمة وعلى قاتلها بالركضة قيمتها أمة يوم قتلها ، وعليهِ في الجنين غرة لأبيهِ لأنه ولده[١١٩] . كما وردت إشارة في نوازل ابن الحـــاج التجيبي إلى رجل زنى بامرأة وهي حامل فأفتى بأنّ لا يقرب لها زوجها حتى تضع حملها فتدبره[١٢٠] .

وبناءً على ما تقدم يبدو أنَّ ظهور حمل الزنا دفع بالخراجيات إلى التخلص من حملهنَّ بطرق مختلفة تجنباً للفضيحة والعار والانتقاد من المجتمع الذي ما فتئت عامته تترصدهنَّ، وجسدوا ذلك بمثلٍ قالوا فيه ((جواب أبناء القحبات السكوت))[١٢١] .

وعلى الرغم من ذكر ظاهرة الإجهاض في المصادر التاريخية إلا أنها تبقى ممارسة فردية تعبر عن ضعف العقيدة الدينية والابتعاد عن حدود شرع الله ، كما لا يوجد مجتمع فاضل خالٍ من بعض السلبيات والممارسات أللأخلاقية التي قد تحدث هنا وهناك لذا فمن الخطأ أنّ نُعمم هذهِ الظاهرة ونجعلها علامة بارزة لمجتمع بأسرهِ ينطق بشهادة الإسلام ويتمسك بتعاليمه الدينية وتحكمه العادات والتقاليد الاجتماعية المستوحاة من ديننا الإسلامي الحنيف .

الخاتمة.

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية :-

١- المجتمع الأندلسي شأنه شان بقية المجتمعات تسوده مجموعة أخلاقيات وسلوكيات مختلفة وتحيط بهِ ممارسات وظواهر بعضها جيد وبعضها غير جيد ، فأما السلوكيات المنحرفة فأنها تبقى تدور في فلك الممارسات الفردية التي لا يمكن أن تُعمم على المجتمع الأندلسي كافة .

٢- كان للخطاب الفقهي دوراً كبيراً في نبذ السلوكيات المنحرفة ، وتشخيص الأخطاء التي كانت تسود المجتمع الأندلسي ، كمحاولة لمنع الوقوع في المنكرات والمحظورات الشرعية ، إلا أنَّ تلك الخطابات لم يكن بمقدورها منع المحظور الشرعي .

٣- علينا أنّ لا نُعمم هذهِ الظواهر ونجعلها علامة بارزة لمجتمع بأسرهِ ينطق بشهادة الإسلام ويتمسك بتعاليمه الدينية وتحكمه العادات والتقاليد الاجتماعية المستوحاة من ديننا الإسلامي الحنيف إذ حَظيَّ تاريخ الأندلس بنساءٍ طاهرات عفيفات كانَّ لهُنَّ دوراً كبيراً في مفاصل الحياة كافة .

٤- انتشرت دور الخراج في الأندلس ، وأصبحت هذهِ الدور آماكن آمنة لاجتماع الرجال بالنساء وممارسة الرذيلة . فظهرت حوادث زنا وسلوكيات منحرفة في المجتمع الأندلسي رافقها ظهور مشكلة اللقطاء وإلحاقهم بالنسب ، الأمر الذي عالجه فقهاء الأندلس من خلال الفتاوى التي وردت في المصنفات النوازلية ، وما يؤسف له أنَّ المتون المصدرية لم تتعرض لهؤلاء اللقطاء ، وتمدنا بمعلومات كافية عنهم علماً أنهم ضحايا لا مذنبين .

٥- وردت إشارات أنَّ بعض رجال الدين المسيحيين كانوا يمارسون الزنا مع بعض النساء (الإفرنجيات) ، ولذلك فقد منع الفقهاء دخول النساء المسلمات إلى الكنائس خوفاً من وقوعهنَّ في الحرام ، وبالرغم من وجود مثل هذهِ الإشارة الصريحة إلا أنَّهُ لا يجب تعميم مثل هذهِ الحالات الفردية التي ولدت هذا الانطباع السيئ عند أحد الفقهاء حتى جعلها ظاهرة شائعة في كنائس المسيحيين في الأندلس ، أستوجبت منع المسلمات من دخول الكنائس .

٦- كان لظهور السفيرة دوراً مهماً في انتشار آفة الزنا وظهور الفسوق في المجتمع الأندلسي .

٧- لجأت بعض النساء لاسيما بائعات الهوى إلى القول بالجنين الراقد تستراً على أفعالهنَّ غير الأخلاقية ، إذ قد تُصاب المرأة بمرضٍ في رحمها فتجعل بطنها منتفخة دون حمل وهي تدعي أنها حامل .

٨- هيمنة الخطيئة والأنشطة المحرمة فانتشرت آفة الزنا وظهرت سلوكيات خطيرة جداً في المجتمع الأندلسي ، وأن كانت قليلة إلا أنَّ المصادر الأندلسية ذكرتها في سياق حديثها عن الزنا ومنها : ظاهرة الخيانة الزوجية وزنا المحارم ، وانتشار ظاهرة الإجهاض ، أو القتل ، أو التخلي للتخلص من أبناء الزنا درءاً للفضيحة والعار .

الهوامش

[١] تاريخ ابن خلدون ، ص٢٩٩ .

[٢] رقية ، الآفات الاجتماعية ، ص١٣١-١٣٢ ؛ هاشمي ، عادات وتقاليد ، ص١١١-١١٢ .

[٣] الونشريسي ، المعيار المعرب ، ٤٩٩/٢ .

[٤] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٠-٥١ ؛ ابن عبد الرؤوف ، رسالة في آداب الحسبة ، ص٨٣

[٥] ابن رشد الجد ، مسائل ابن رشد ، ١٢٤٣/٢ .

[٦] رسالة في آداب الحسبة ، ص٤٧ .

[٧] النبراوي ، المرأة العاملة ، ص٣ .

[٨] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٢٧ .

[٩] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٤ .

[١٠] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٢٧ .

[١١] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ، ص٤٨-٤٩ .

[١٢] ابن الحاج التجيبي ، ٢/ نازلة رقم ،(٤٢٧، ٤٢٨ ، ٤٣٠) ، ص٤٥٢-٤٥٣ .

[١٣] ابن الحاج التجيبي ،٢/ نازلة رقم (٤٣٥) ، ص٤٥٦ .

[١٤] ابن الحاج التجيبي ،٢/ نازلة رقم (٤٢٧ ، ٤٢٨) ، ص٤٥٢-٤٥٣.

[١٥] البقالي ، وضعية المرأة ، ص١٢٩ .

[١٦] بوتشيش ، المغرب والأندلس ، ص٥٣ .

[١٧] ابن بسام ، الذخيرة ، ٢٤٢/١ .

[١٨] سالم ، في تاريخ وحضارة الإسلام ، ص٢٠٩ .

[١٩] الونشريسي ، المعيار المعرب ، ٢،٤٨٧-٤٨٨ .

[٢٠] دندش ، أضواء جديدة ، ص١٦٣ .

[٢١] باب العطارين : وهو أحد أبواب قرطبة السبعة والتي كان منها : باب القنطرة إلى جهة القبلة، وباب الحديد ويعرف بباب سرقسطة، وباب ابن عبد الجبار وهو باب طليطلة، وباب طلبيرة، ثم باب عامر القرشي ثم باب الجوز ويعرف بباب طليوس ثم باب العطارين وهو باب إشبيلية، ومن دونه تجارة العطور والدكاكين والعطارين . ينظر : المقري ، نفح الطيب ، ٤٦٥/١ .

[٢٢] الطرطوشي ، الحوادث والبدع ، ص١٣٣ .

[٢٣] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ١٢١/١ .

[٢٤] المقري ، نفح الطيب ، ٢٨٧/٤ .

[٢٥] ابن قزمان : محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان الزهري من أهل قرطبة يكنى أبا بكر، ولد سنة ٤٨٠هـ، ويُعد إمام الزجالين بالأندلس، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره. وقد جمع أزجاله. وديوانها مشهور بالمشرق والمغرب، توفي سنة ٥٥٥هـ . ينظر : ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ٢/ ص١٠٠ ، ص١٦٧ .

[٢٦] قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها وآثارهم بها ظاهرة، وفضائل قرطبة ومناقب خلفائها أشهر من أن تذكر، وهم أعلام البلاد وأعيان الناس، اشتهروا بصحة المذهب وطيب المكسب وحسن الزي وعلو الهمة وجميل الأخلاق، وكان فيها أعلام العلماء وسادات الفضلاء، وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة، وهي في ذاتها مدن خمس يتلو بعضها بعضاً، وبين المدينة والمدينة سور حاجز، وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمّامات وسائر الصناعات . ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٤٥٦ .

[٢٧] إصابة الأعراض ، زجل رقم (٨٧) ، ص٢٧٩-٢٨٦ .

[٢٨] يوسف بن هارون الرمادي : يوسف هارون بن أيوب بن زكريا التجيبي الرمادي المكنى أبو عمر ، أصله من بربشتر وهو شاعر مشهور مقدم في الشعراء ، له رحلة سمع فيها من الحسن بن رشيق بمصر وغيره توفي سنة ٤٠٣هـ . ينظر : ابن بشكوال ، الصلة ، ترجمة رقم (١٤٩٣) ، ٦٧٥/٢ .

[٢٩] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص١٢٠-١٢٢ .

[٣٠] هاشمي ، عادات وتقاليد ، ص١١٢ .

[٣١] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ، ص٢٧ .

[٣٢] معيار الاختيار ، ص١٣٠ .

[٣٣] رندة :مدينة قديمة بالأندلس من مدن تاكرنا، بها آثار كثيرة، وهي على نهر ينسب إليها، واجتلب الماء إليها من قرية بشرقيها ومن جبل طلوبرة بغربيها، فيوافي الماء داخلها من شرقيها وغربيها، ويتوارى نهرها في غار فلا ترى جريته أميالاً ثم يظهر حتى يقع في نهر لكه. وبقرب من رندة عين تعرف بالبراوة وتجري من أول الربيع إلى آخر الصيف فإذا دخل الخريف نضب ماؤها فلا تبض بقطرة إلى أول الربيع من عام ثان. ينظر . الحميري ، الروض المعطار ، ص٢٦٩ .

[٣٤] وادي آش : مدينة بالأندلس قريبة من غرناطة كبيرة خطيرة تطرد حولها المياه والأنهار، ينحط نهرها من جبل شلير، وهو في شرقيها، وهي على ضفته، ولها عليه أرحاء لاصقة بسورها، كثيرة التوت والأعناب وأصناف الثمار والزيتون، والقطن ، وفيها حمامات كثيرة، ولها بابان: شرقي على النهر وغربي على خندق، وقصبتها مشرفة عليها، وفيها سور حجارة، وهو في ركنها الذي بين المغرب والقبلة. وبقربها قرية بها عين تجري سبعة أعوام وتغور سبعة أعوام، قالوا: وهذا معروف على قديم الزمان تسكن بجريان عينها وتخلو بغؤورها. ينظر . الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٠٤ .

[٣٥] خطرة الطيف ، ص٥٣ .

[٣٦] طوق الحمامة ، ص٧٨ .

[٣٧] طوق الحمامة ، ص٧٨ .

[٣٨] ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص٤٢٩ .

[٣٩] رسالة في آداب الحسبة ، ص٢٧-٢٨ .

[٤٠] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص١٨٣ .

[٤١] طوق الحمامة ، ص٢٩٦ .

[٤٢] الزخرف ، الآية ٦٧ .

[٤٣] ابن الحاج التجيبي ، ٢/ نازلة رقم (٤٢٩) ، ص٤٥٣ .

[٤٤] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٠ .

[٤٥] ابن عاصم ، حدائق الأزاهر ، ص٣١٠ ؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ، ص٣٣٧-٣٣٨ ؛ جباري ، الأزمة الأخلاقية ، ص٢٤١ .

[٤٦] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٧ ؛ ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ، ١/ ٣٨٤ .

[٤٧] بالباس ، التاريخ الحضري ، ٣٠٥/١ .

[٤٨] السقطي ، في آداب الحسبة ، ص٤٨-٤٩ .

[٤٩] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٠-٥١

[٥٠] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٠ .

[٥١] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٠ -٥١ .

[٥٢] الونشريسي ، المعيار المعرب ، ٤٢٠/٦ ؛ شافع ، المرأة في المجتمع الأندلسي ، ص٨٤ .

[٥٣] دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ، ص٣٣٨ .

[٥٤] عبد الرحمن الناصر : عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ، كنيته أبو المطرف ، لقبه الناصر لدين لله ، نقش خاتمه عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ ، أمهُ أم ولد رومية تسمى مزنة ، ولد في سنة ٢٧٧ هـ ، ولي بعد وفاة جده الأمير عبد الله ، وكان والدهِ قد قتله أخوه المطرف بن عبد الله ، كان عبد الرحمن شهماً جواداً كريماً فصيح اللسان قاهر اللعنات خطيباً بليغاً شاعراً مجيداً صارماً ، وهو أول من تسمى بأمير المؤمنين من بني أمية في الأندلس ، بايعه جميع أهل قرطبة وأعلن الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٣١٦هـ . وتوفي سنة ٣٥٠هـ . ينظر : الحميدي ، جذوة المقتبس ، ص١٢ ؛ الضبي ، بغية الملتمس ، ص١٧ .

[٥٥] ابن حيان ، المقتبس ، ٥/ ٣٧ ؛ ابن حزم ، رسائل ابن حزم ، ٢/ ٧٦ .

[٥٦] كحالة ، الزنا ومكافحته، ص٩ ؛ رقية ، الآفات الاجتماعية ، ص١٥٧ .

[٥٧] تواتية ، ظاهر الإجهاض ، ص١٢

[٥٨] الزجال ، أمثال العوام ، ٢/ مثل رقم ١٧٩٦ ، ص٤١٢ ؛ دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين ، ص٣٣٨ .

[٥٩] الدسوقي ، التأثير الأسباني ، ص٥٦ .

[٦٠] ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الأول ، ص٢١٦ .

[٦١] اشبيلية : مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام ومن الأميال ثمانون، وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها أشبالي معناه – المدينة المنبسطة – ويقال إن الذي بناها يوليوس القيصر وإنه أول من تسمى قيصر .ينظر :الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٨ .

[٦٢] المقري ، نفح الطيب ، ١/ ١٥٩ .

[٦٣] أبذة : مدينة بالأندلس، وهي حصن على واد بقرب أقليش، وعلى وادي أبذة عدة كثيرة من الأرحاء، ويجري هذا النهر على عدة كثيرة من القرى فيسقيها، وبقرب وبذة قرية يقال لها بنتيج أهلها نصارى ينعقد ماؤها في الإناء فيصير حجراً أصفر، وكذلك أين ما جرى، وينعقد على أسنان أهلها.ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٦٠٧ .

[٦٤] المقري ، نفح الطيب ، ٣/ ٢١٧ .

[٦٥] شريش : مدينة كبيرة في كورة شذونة ، وهي قاعدة هذهِ الكورة . ينظر الحميري ، الروض المعطار ، ص٣٤٠ .

[٦٦] الزجالي ، أمثال العوام ، ٢/ ٤١٩ ، مثل رقم ١٨٢٤ .

[٦٧] ابن عبدون ، رسالة في آداب الحسبة ،ص٥٧ .

[٦٨] المقري ، نفح الطيب ، ٣/ ٢١٧ .

[٦٩] رقية ، الآفات الاجتماعية ، ص١٥٨ .

[٧٠] بوتشيش ، ظاهرة الزواج ، ص١٥٩-١٦٠ ؛ رقية ، الآفات الاجتماعية ، ص١٥٨ .

[٧١] محمد ، الفقر والفقراء ، ص٢٣٢ .

[٧٢] بودالية ، البيئة في بلاد الاندلس ، ص١١٩ .

[٧٣] بوتشيش ، ظاهرة الزواج ، ص١٥٨ .

[٧٤] تذكر بعض الروايات ان ظاهرة الطلاق كانت متفشية في المجتمع الأندلسي ، وأن الطلاق يتم لأسباب تافهة ينظر : الزجالي ، أمثال العوام ، ص١٧ ؛ بن الذيب ، المغرب والأندلس ، ص٢٠٥؛ بن عيسى ، الحياة الاجتماعية، ص٥٦

[٧٥] البقالي ، وضعية المرأة ، ص١٤٢ .

[٧٦] ابن الحاج التجيبي ، ٢/ نازلة رقم ،(٤٤٣ ، ٤٨١) ، ص ٤٦١؛ ص٤٧٩-٤٨٠ .

[٧٧] ابن الخطيب ، الإحاطة ، ٣/ ٤٥٦ .

[٧٨] القاضي عياض ، مذاهب الحكام ، ص٢٧٦ .

[٧٩] أمثال العوام ، ٢/ مثل رقم (٥٢) ، ص ١٦؛ مثل رقم ١٨٢٤، ص٤١٩. وقد قال الزجالي ((قحاب شرشر طُلبَ وحد تجد عشر)) .

[٨٠] الزجالي ، أمثال العوام ، مثل رقم (١٨٨) ، ص٤٧ .

[٨١] برشانة : مدينة بالأندلس تقع على حصن في مجتمع نهرين وهو من أمنع الحصون مكاناً وأوثقها بنياناً وأكثرها عمارة. ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٨٨ .

[٨٢] معيار الاختبار ، ص١٠٦ .

[٨٣] طوق الحمامة ، ص٧١ .

[٨٤] سحنون بن سعيد : ابو سعيد عبد السلام بن حبيب التنوخي الملقب بسحنون ، كان من ابرز فقها المالكية بالمغرب ، وتولى القا بالقيروان كما انتهت إليهِ الرئاسة في العلم بالمغرب إليهِ خلال القرن الثالث الهجري ، وتوفي سنة ٢٤٠هـ . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، /١٨٠-١٨٢ .

[٨٥] الونشريسي ، المعيار المعرب ، ٤٩٩/٢ .

[٨٦] زيارة ، الترف في المجتمع الأندلسي ، ص٢٢٧ .

[٨٧] السقطي ، في آداب الحسبة ، ص٥٣ .

[٨٨] هاشمي ، عادات وتقاليد ، ص١١٦ .

[٨٩] ابن حزم ، طوق الحمامة ، ص٢٧٠ .

[٩٠] الونشريسي ، المعيار المعرب ، ٤٠٩/٢ . وقد جسدت أمثال العامة في الأندلس هذهِ الظاهرة بالقول : ((لا تثق بقحبة ولو كانت أختك)) . ينظر. الزجالي ، مثل رقم (٢٠٢٧) ، ص ٤٦٥ .

[٩١] ابن بشتغير ، النوازل ، ص٣١٢ .

[٩٢] ابن ورد الأندلسي ، أجوبة ابن ورد ، ص٩٧ .

[٩٣] الإعلام بنوازل الحكام ، ص٣٢١ .

[٩٤] قاسم بن أبي طالب : لم أجد تعريفاً له في كتب التراجم .

[٩٥] سعدونة بنت سعيد : لم أجد تعريفاً لها في كتب التراجم .

[٩٦] بوتشيش ، المغرب والأندلس ، ص٤٠ .

[٩٧] الزجالي ، مثل رقم (٥٥١) ، ص١٢٤ .

[٩٨] طوق الحمامة ، ص٢٩٦ .

[٩٩] الونشريسي ، المعيار ، ٤٢٨/٢ .

[١٠٠] الشعبي ، الاحكام ، ٤١٣/٢-٤١٤ .

[١٠١] بودالية ، ظاهرة الإجهاض ، ص١٢ .

[١٠٢] بن خيرة ، الآفات الاجتماعية ، ص١٥٦ .

[١٠٣] ابن الأثير ، النهاية ، ٣٢٢/١ .

[١٠٤] لسان العرب ، ٣١/٧ .

[١٠٥] الشافعي ، الأم ، ١٠٧/٦ .

[١٠٦] بودالية ، ظاهرة الإجهاض ، ص١٢ .

[١٠٧] مجموعة أساتذة ، الطب الشرعي ، ص١٢١ .

[١٠٨] الفتنة القرطبية: هناك اختلاف كبير بين المؤرخين في تحميل البربر المغاربة لوحدهم مسؤولية هذهِ الفتنة ، والظاهر أن التسمية جاءت متأثرة بكتابات بعض المؤرخين من ذوي الميول الأموية كابن حزم الأندلسي المتوفي سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٦م ، والمؤرخ ابن حيان القرطبي المتوفي سنة ٤٩٦هـ/١٠٧٩م، ويفضل البعض استخدام مصطلح يُنصف البربر بوصفها بالفتنة القرطبية أو فتنة محمد بن هشام بن عبد الجبار . ينظر: ابن حزم ، الأحكام ، ٣١٣/٣ ؛ ابن عذارى ، البيان المغرب ،٦٧/٣ .

(١٠٩) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٣/٨١ .

(١١٠) الونشريسي ، المعيار المعرب ، ١٠/٣٦٠ .

(١١١) الونشريسي ، المعيار المعرب ، ٤/٤٧٦-٤٧٧ .

(١١٢) ابن رشد الجد ، مسائل ابن رشد ، ٢/ ١٢٤٣ .

(١١٣) المرية : مدينة بالأندلس أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٣٤هـ ، ولما قدموا المجوس للمرية وتطوفوا بساحل الأندلس والعدوة، فاتخذها العرب مرابطاً وابتنت بها محارس، وكان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها، وهي اليوم أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، ومن أجل أمصارها وأشهرها، وعليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، وعلى ربضها المعروف بالمصلى سور تراب بناه خيران العامري، ينظر : الحميري ، الروض المعطار ، ص٥٣٧-٥٣٨ .

(١١٤) مسائل ابن رشد ، ٢/١٢٤٣ .

(١١٥) مسألة رقم (٤٩) ، ص١١ .

(١١٦) الونشريسي ، المعيار المعرب ، ٣/٣٧٠ .

(١١٧) أبو مصطفى ، جوانب من حضارة المغرب ، ص٥٤ .

(١١٨) إسحاق بن إبراهيم بن مرسة الملقب بأبو إبراهيم التجيبي : مولى بني هلال التجيبي من أهل طليطلة ، وسكن قرطبة لطلب العلم، ثم استوطنها كان خيراً فاضلاً ديناً ورعاً مجتهداً عاقداً من أهل العلم والفهم والعقل والدين المتين، والزهد والتقشف والبعد عن السلطان لا تأخذه في الله لومة لائم وكان حافظاً للفقه على مذهب مالك وأصحابه متقدماً فيه، صدراً في الفتوى سمع ببلده من وسيم وعثمان بن يونس، ووهب بن عيسى، وابن أبي تمام. وبقرطبة من أبي الوليد، وابن لبابة، وأسلم، وابن خالد، وابن أيمن ومحمد بن قاسم وقاسم بن أصبغ وغيرهم وكان أكثر أخذه عن ابن لبابة وابن خالد، وبهما تفقه ينظر : الضبي ، بغية الملتمس ، ترجمة رقم (٥٥١) ، ص٢٣٥ .

(١١٩) ابن بشتغير ، نوازل ، ص٣١٠-٣١١ .

(١٢٠) نازلة رقم ٩١ .

(١٢١) الزجالي ، أمثال العوام ، مثل رقم (٧٩١) ، ص١٧٩ .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر

القرآن الكريم .

ابن الأثير ، أبو السعادات مجد الدين المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) .

١- النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩ .

ابن بسام ، أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني ، (ت٥٤٢هـ/١١٤٧م) .

٢- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٩٧ .

ابن بشتغير ، احمد بن سعيد بن بشتغير اللورقي المالكي ، (ت٥١٦هـ/١١٢٢م) .

٣- نوازل احمد بن سعيد بن بشتغير ، ط١ ، دراسة وتحقيق وتعليق قطب الريسوني ، دار ابن حزم ، بيروت ، ٢٠٠٨ .

ابن الحاج التجيبي ، أبي عبد الله محمد بن أحمد ، (ت ٥٢٩هـ/١١٤٣م) .

٤- نوازل ابن الحاج التجيبي ، تحقيق احمد شعيب اليوسفي ، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية ، تطوان ، ٢٠١٨ .

ابن حزم ، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ، (ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م) .

٥- الأحكام في أصول الأحكام ،أشراف أحمد شاكر ، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، د.ن .

٦- ___ ، رسائل ابن حزم (طوق الحمامة في الألفة والالأف) ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٧ .

الحميري ، محمد بن عبد المنعم ، (ت حوالي ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) .

٧- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط٢ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٨٤ .

ابن حيان القرطبي ، أبي مروان حيان بن خلف ،(٤٦٩هـ/١٠٧٦م) .

٨- المقتبس في أخبار بلد الأندلس ، نشر ب .شالميتا بالتعاون لضبطهِ وتحقيقه مع ف.كورنيطي و م . صبح وغيرهما ، المعهد الأسباني العربي للثقافة العربية ، كلية الآداب ، مدريد ، ١٩٧٩ .

ابن الخطيب ،لسان الدين أبي عبد الله محمد بن الخطيب السلماني ، (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م) .

٩- الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط٢ ، الناشر مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٧ .

١٠- ___ ، خطرة الطيف في رحلة الصيف ، رحلات في المغرب والأندلس (١٣٤٧-١٣٦٢م) ، ط١، تحقيق احمد مختار العبادي ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الامارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٣ .

١١- ___ ، معيار الاختبار في ذكر المعاهد والديار ، ط١، رحلات في المغرب والأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ٢٠٠٣ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، (٨٠٨هـ/١٤١٥م) .

١٢- تاريخ ابن خلدون المعروف بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٧ .

ابن خلكان ، شمس الدين أبي العباس أحمد بن محمد ، (ت٦٨١هـ/ ١٢٨٢م).

١٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، د.ت.

ابن رشد الجد ، محمد بن احمد الوليد القرطبي ، (٥٢٠هـ/١١٢٦م) .

١٤- مسائل ابن رشد ، ط٢، تحقيق محمد الحبيب التجكاني ، دار الجيل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، المغرب ، ١٩٩٣ .

الزجالي ، أبي يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالي القرطبي ، (ت٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م)

١٥- أمثال العوام في الأندلس ، تحقيق محمد بن شريفة ، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم ، المغرب ، د.ت .

ابن سعيد ، أبي الحسن على بن موسى ، (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) .

١٦- المغرب في حُلى المغرب، حققه وعلق عليهِ شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف ، القاهرة، د.ت .

ابن سهل ، أبي الأصبغ عيسى بن عبد الله الأسدي ، (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م) .

١٧- الأعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى ، تحقيق نورة محمد عبد العزيز التويجري ، د.ط ، ١٩٩٥ .

السقطي ، أبي عبد الله محمد بن ابي محمد المالقي ، (عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) .

١٨- في آداب الحسبة ، د.ط ، د.ت .

الشافعي،أبو عبد الله محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي، (ت ٢٠٤هـ / ٨٢٠م)

١٩- الأم ، تحقيق محمد زهري النجار ، دار المعرفة ، بيروت ، .د.ت .

الشعبي ، عبد الرحمن بن قاسم أبو المطرف الشعبي المالقي ، (٤٩٧هـ/١٠٨٦م) .

٢٠- الأحكام ، تقديم وتحقيق الصادق الحلوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٢ .

الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي، (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) .

٢١- كتاب الحوادث والبدع ، ط١، تحقيق علي بن حسن بن علي الحلبي ، دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٠ .

ابن عاصم ، محمد بن محمد بن عاصم القيسي الغرناطي ، (ت٨٢٩هـ/ ١٤٣٥م)

٢٢- حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر ، تحقيق أبو همام عبد اللطيف عبد الحليم ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٦ .

ابن عبدون ، محمد بن احمد التجيبي ،(كان حياً في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي).

٢٣- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، نشر ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

ابن عبد الرؤوف ، احمد بن عبد الله ، (ت النصف الأول من القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي) .

٢٤- رسالة في آداب الحسبة والمحتسب منشورة ضمن ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، نشر ليفي بروفنسال ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٥ .

ابن عذاري ، أبي العباس أحمد بن محمد المراكشي ، (ت بعد سنة ٧١٢هـ / ١٣١٢م) .

٢٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ،وج٣، تحقيق ج.س كولان وإ ليفي بروفنسال ، ط٢ . بيروت ، دار الثقافة . ١٩٨٠م .

القاضي عياض ، أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي (من علماء القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

٢٦- مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧

ابن قزمان ، أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك ، (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠م) .

٢٧- ديوان ابن قزمان القرطبي إصابة الأعراض في ذكر الأغراض ، تحقيق فيديريكو كورنيتي ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، المغرب ، ٢٠١٣ .

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، (٧١١هـ/١٣١١م)

٢٨- لسان العرب ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

ابن ورد الأندلسي ، أبو القاسم احمد التميمي ، (ت٥٤٠هـ/١١٤٦م) .

٢٩- نص جديد من فقه النوازل بالغرب الإسلامي ، أجوبة ابن ورد الأندلسي ، تحقيق محمد الشريف ، جامعة الملك السعدي ، تطوان ، ٢٠٠٨ .

المقري ، أحمد بن محمد المقري التلمساني ، (ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م) .

٣٠- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨.

الونشريشي ، أبي العباس أحمد بن يحيى ، (ت ٩١٤هـ/١٥٣٤م) .

٣١- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ، الرباط ، ١٩٨١ .

قائمة المراجع

أبو مصطفى ، كمال

٣٢- جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ .

بوتشيش ، إبراهيم القادري .

٣٣- المغرب والاندلس في عصر المرابطين (المجتمع ، الذهنيات ، الاولياء) ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٣ .

بالياس ، ليوبولدوطربس .

٣٤- التاريخ الحضري للمغرب الإسلامي الحواضر الأندلسية ، ترجمة محمد يعلي ، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، المغرب ، ٢٠٠٧ .

دندش ، عصمت عبد اللطيف

٣٥- أضواء جديدة على المرابطين ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩١ .

٣٦-___، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر الطوائف الثاني٥١٠-٥٤٦هـ/١١١٦-١١٥١م تاريخ سياسي وحضاري ، دار الغرب الإسلامي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٨ .

سالم ، السيد عبد العزيز

٣٧-في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس ، مؤسسة شباب الجامعة ، د.ط ، الإسكندرية ، ١٩٩٨ .

شافع ، راوية عبد الحميد .

٣٨- المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة ، ط١ ، عيد للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، ٢٠٠٦ .

كحالة ، عمر

٣٩- الزنا ومكافحته ، مؤسسة الرسالة ، د.ت .

مجموعة أساتذة الطب الشرعي في كليات الطب في الجامعات العربية .

٤٠- الطب الشرعي والسموميات ، طبع في الإسكندرية ، مصر ، ١٩٩٣ .

محمد ، أستيتو.

٤١- الفقر والفقراء في مغرب القرنين ١٦-١٧ ، ط١، مؤسسة النخلة للكتاب ، جدة ، ٢٠٠٤ .

الأبحاث والرسائل والاطاريح الجامعية

البقالي ، هشام .

٤٢- وضعية المرأة الأندلسية خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين من خلال أدب النوازل ، نوازل ابن الحاج التجيبي (ت٥٢٩هـ) أنموذجاً ، بحث منشور في المجلة الجزائرية للمخطوطات ، المجلد ١٤ ، العدد٢ ، ٢٠١٩ .

بن الذيب ، عيسى

٤٣- المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية (٤٨٠-٥٤٠هـ/١٠٥٦-١١٤٥م) ، أطروحة دكتوراة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٩ .

بن عيسى ، بوعدي

٤٤- الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال كتاب القضاة بقرطبة للخشني ت ٣٦١هـ ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الطاهر مولاي ، الجزائر ، ٢٠١٨ .

بوتشيش ، إبراهيم القادري .

٤٥- ظاهرة الزواج في الأندلس أبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة ، سلسلة أبحاث وندوات حضارة الأندلس في الزمان والمكان ، أعمال الندوة الدولية ، جامعة الحسن الثاني ، كلية الآداب والعلوم الأنسانية المحمدية ، ١٩٩٢ .

بودالية ، تواتية

٤٦- البيئة في بلاد الأندلس عصري الخلافة وملوك الطوائف ، أطروحة دكتوراه نوقشت في كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، جامعة وهران ، الجزائر ، ٢٠١٤ .

٤٧-___، ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس ، بحث منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد ٢٥ ، ٢٠١٦ .

جباري ، سامية

٤٨- الأزمة الأخلاقية في المجتمع الأندلسي كما صورها الأدب عصر الطوائف والمرابطين ، أطروحة دكتوراه ، كلية العلوم الإسلامية ، الجزائر ، ٢٠٠٧ .

الدسوقي ، نوال

٤٩- التأثير الأسباني في المجتمع الأندلسي وصورته في الأدب ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ، ١٩٩٦ .

رقية ، بن خيرة

٥٠- الآفات الاجتماعية في الأندلس ما بين القرنين الخامس والسادس الهجريين (ق١١- ق١٢م) دراسة في ظاهرة الانحراف ، أطروحة دكتوراه كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة مصطفى اسطنبولي معسكر .

٥١- __ ،الجسد الأنثوي والمجتمع الأندلسي (ق٥-٦ هـ / ١١-١٢م) قراءة في صورهِ وتمثلاتهِ ، بحث منشور في مجلة عصور الجديدة ، العدد ١٩-٢٠ أكتوبر ، ٢٠١٥ .

زيارة ، نادرة فرج

٥٢- الترف في المجتمع الإسلامي الأندلسي ٩٢هـ/٧١١م = ٦٦٨هـ/١٢٦٩م ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب قسم التاريخ والآثار ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، ٢٠١٠ .

هاشمي ، نجاة

٥٣- عادات وتقاليد المجتمع الأندلسي خلال عهد الدولة الأموية (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م) ، رسالة ماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة الحاج بلخضر ، الجزائر ، ٢٠١٦ .

النبراوي ،نجلاء سامي

٥٤- المرأة العاملة بالمغرب والأندلس دراسة تاريخية ، بحث منشور في جامعة الملك خالد ، المملكة العربية السعودية ، د.ت .